أين الكلتور؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

دخل الألمان الحرب الماضية وهم يحملون أمامهم كلمة « الكلتور » التي شاعت على ألسنة الناس من ذلك الحين كما شاعت ترجماتها في اللغات الأخرى ، ومنها كلمة الثقافة في اللغة العربية

وكانت دعواهم أنهم يحاربون بالكلتور الجرماني أو الثقافة الجرمانية كما يحاربون بقوة السلاح وقوة السياسة ، لأنهم اعتقدوا أنهم أصحاب أشرف الثقافات وأحقها بالنصر والغلبة على عقول الأمم وأذواقها

فأين « الكلتور » في الحرب الحاضرة ؟

إن النازيين لا يذكرونه على ألسنتهم ولو على سبيل الادعاء الذي يعوزه البرهان ، لأنهم بعيدون عنه وهو بعيد عنهم . فليس في حركتهم ثقافة ، وليس لها فن ولا ثمرات فنية ؛ وكل ما عليها صبغة حرب كالطلاء الأحمر على الوجه الشاحب الهزيل ، لا هو من الصحة ولا من الجمال

وتعترف الصحف النازية — كما جاء في صحيفة أوربا الحديثة الفرنسية — بأن الروايات التي يؤلفها الكتاب النازيون لا تترجم إلى لغة من اللغات الأجنبية ، وأن الأدب الألماني يمثله اليوم في العالم جماعة من الكتاب المهاجرين المطرودين من حظيرة هتلر ؛ فكل ما يعرفه العالم عن الأدب الألماني الحديث هو من ثمرات فراغ هؤلاء الكتاب المطرودين !

ورأيُ الإيطاليين — وهم إخوان المحور — لا يختلف عن رأي الأمم الأخرى في الأدب الشائع بين النازيين ، فقد ترجم إلى اللغة الإيطالية في سنة ١٩٣٧ خمسة وسبعون كتاباً معظمها من تأليف كتاب المنفى ، ولم تبرز قط رواية نازية على مسارح العالم بعد سنة ١٩٣٣ وهي السنة التي قبض فيها هتلر على زمام السلطان ؛ وهي خسارة مالية فوق الخسارة الأدبية يقدرون ما ضاع من جرائها على خزانة الريخ بخمسة ملايين من الماركات

وقد بلغت ثروة الصور المتحركة النازية خلال السنة الماضية خمسة ملايين مارك هبطت إلى ثلاثة ملايين في السنة الحاضرة ، وبلغت الشُرُط الكبرى في سنة ١٩٣٢ وهي من سنوات الأزمة والكساد مائة واثنين وأربعين أخرجت كلها في العواصم الألمانية ، فما زالت تهبط حتى انحدرت إلى ثمانية وتسعين في سنة ١٩٣٨ على الرغم من ضم النمسا وبلاد السوديت

أما ما باعته ألمانيا النازية من الشرط في الخارج فقد كان تسعة وسبعين في سنة ١٩٣٧ فهبط في السنة التالية إلى أربعة وعشرين !

* * *

هذا كساد في الملكات والقرائح شعر به هتلر ونبه إليه في المؤتمر الأكبر فقال إن الحركة النازية لا تزال في انتظار العبقريات التي تتغنى لها بمعانيها وأناشيدها

وشعر به القائمون على التربية الوطنية فعالجوه على دأبهم المشهور بالعلاجات العسكرية والأساليب البتراء فما ازدادوا في كساد ملكاتهم وقرائحهم إلا خموداً على خمود

قال أستاذ رياضيات لزميل أمريكي : ما الحيلة في هذا الجيل العقيم الذي لا يحسن غير السير في المواكب وشق الحناجر بالهتاف والتفاخر بالبنود والشارات ؟ لقد زيفوا لهم التاريخ فقلبوا وقائعه ومسخوا تفسيراته وجعلوه قصيدة من قصائد الإطراء للنازيين وأشباه النازيين ، وقد علموهم الجغرافيا على النحو الذي طاب لهم ووافق دعواهم وأملى لهم في سياستهم ، وقد جعلوا أبطال الدنيا بأسرها من سلالة شمالية أو آرية كما يقولون . فأما الرياضيات فمن لنا بتزييفها على هذا النمط المنكوس ؟ ومن لنا بتعليم الشبان الجبر والفلك والرياضيات العليا والدقائق الفنية ، وهم بين موكب يصخبون فيه أو نشيد أو مناورة في عرض الطريق ؟ كل درس يحتمل التزييف والاصطباغ بالصبغة السياسية إلا العلوم والرياضيات ! ... فلم يبق أمامنا إلا إسقاط الدرجات كرة بعد كرة حتى هبط مقياس النجاح إلى ما دون مقياس الرسوب ، ولولا هذا لاتهمنا الرؤساء بالتقصير وقالوا : إن الآفة من عجزنا عن التعليم لا من عجز هؤلاء الأولاد الفاشلين عن الإصغاء وإنعام النظر في دقائق العلوم !

وقد يستخف النازيون بهذه العاقبة الوخيمة لو كان خطبها كله مقصوراً على ندرة التأليف وقلة النبوغ في الأدب والفن وما إليهما من مجالي العبقرية ومعارض التعبير

لكن المصيبة التي لا يستطيع النازيون تجاهلاً لها ولا استخفافاً بعقباها أن كساد العقول ينقلب عليهم في مجال « المسكريات »

أو مجال التدريب للقتال ، وهم لا شيء في سياسة الأمة ولا في سياسة العالم إن لم يفلحوا في تدريب الجنود وتحضير السلاح

فلا غنى للدراسة العسكرية المصرية عن الفنون وعن الرياضيات وعن البراعة في تركيب الآلات وتسيير الحركات . وقد أشار إلى هذا النقص في الجيل النازي الأخير كاتب مجرى من أصحاب الرأي الموثوق بها في مسائل الحرب الماضية والعدد الضرورية لكل حرب حديثة ، نعني به الدكتور إيفان لاجوس Ivan Lajos مؤلف كتاب « فرص ألمانيا في الحرب » ومسجل الآراء التي أفضى بها رجال ألمانيا المسؤولون في هذه الأمور ، فإذا بهم يجمعون على الشكوى من تقهقر التعليم واستحالة الاعتماد على من يتدربون بالأساليب النازية المستعجلة ، ويؤتمنون بعد ذلك على الطيارات والدبابات وتنفيذ الخطط ومراس المختلف من دقائق الأدوات

***

فالثقافة المزيفة بلاء لا تنحصر أضراره في الأدب والفن والتأليف ، ولا يزال يسرى في كل شعبة من شعب الحياة حتى يعطل القوة العسكرية والقوة البدنية والقوة الحيوانية في النهاية ، وهي القوى التي يُظَن أنها أغنى ما تكون عن الثقافة والمثقفين

وإذا كان في الحرب ما يحمد الله عليه فلنحمد الله نحن المصريين بل نحن الشرقيين أجمعين أن كشف ستر النازية قبل أن تخدع الأسماع والأبصار بظاهر ما لها من الضجة والبريق والطلاء ، فقد بلغ من خداعها أن سمعنا أناساً من ساستنا يدعوننا إلى اقتباسها والأخذ عنها ولو في تقييد الحرية الفردية وتغليب « النظام العسكري » عليها ، فأشرنا يومئذ في مجلس النواب إلى وخامة التربية النازية وجنايتها على العقول وإفسادها لينابيع التفكير والتثقيف ، وقلنا إنها جنت على ألمانيا وهي سابقة لنا في ميادين العلم والفن والتربية فماذا تصنع بنا نحن وإننا لدارجون حتى الساعة في بداية الطريق ؟ !

وسنحمد الله حمداً مضاعفاً متى تكشفت الحقائق كلها عن فضائل الحرية ورجحانها في جميع الموازين على أساليب الطغيان و « النظام » المزعوم ، ولا يخامرنا الشك في مصير أناس يعارضون مجرى الحياة الإنسانية ويمسخون ما ازدانت به من شرف وجمال . فسيفشلون لا محالة كما فشل أسلاف لهم حملوا على الدنيا بسلاح الحديد وسلاح الكلتور ، وإن هؤلاء اللاحقين لأضعف من سابقيهم في السلاحين !

عباس محمود العقاد

أسمار وأحاديث

في منزل الدكتور طه حسين

للدكتور زكي مبارك

في مطلع الصيف كنت على موعد مع الأستاذ الكبير الدكتور طه بك حسين لأقدم إليه نسخة من كتاب « ليلى المريضة في العراق » ولأقرأ معه صفحات من ذلك الكتاب ، ولكني حين وصلت في الموعد المحدّد لم أجده في البيت ، فسلمت الكتاب لجنديّ رابط هناك وانصرفت

ولم يعزّني عن إخلاف الدكتور طه حسين إلا لحظات عذاب قضيتُها في منزل الآنسة أم كلثوم ، وبينه وبين منزل الدكتور طه بضع خطوات

وفي اليوم التالي سألت عنه بالتليفون لأعرف كيف أخلف الموعد ، فاعتذر بلطف وأكّد أنه نسي ذلك الموعد كل النسيان ، ودعاني إلى تجديد الموعد ، فقلت : إني أتأهب للسفر إلى بغداد للاشتراك في تأبين الملك غازي ، وسأحرص على التشرف بمقابلتك حين أعود

وكنت أحب أن آنس بلقائه بعد أن رجعتُ من بغداد ، ولكني خشيت أن يكون أخلف الموعد الأول عن عمد ، لأن أولاد الحلال لا يزالون « يصلحون » ما بيني وبينه من صلات

ثم سافر الدكتور طه إلى باريس ، وسارت الأخبار بأنه سيعتذر عن الحضور في العام المقبل ليستريح من عناء المشكلات الجامعية وليؤلف كتاباً عن تاريخ الشعر العربي

وكنت في تلك اللحظة شرعت في الهجوم على الأستاذ أحمد أمين ؛ وندّ القلم فوقعت منه غمزات تمسّ الدكتور طه حسين بدون موجب . وكذلك استوحشت من المضيّ للتسليم عليه حين عرفت أنه رجع من باريس

ثم عدت فقررت أن أؤدي الواجب في تحية الدكتور طه ، راجياً أن يكون في تأدية هذه التحية تبديدٌ للظلمات التي يخلقها من يأكلون العيش بحياكة الأقاويل والأراجيف